

وجهة النظر الجديدة في الحياة

للأستاذ الصيني الكبير وانغ يوانه شينغ

[حديث ألقاه في جمعية الثقافة المركزية بشنغ كينغ]

بقلم الأستاذ نور ناهين

[تمة ما نشر في العدد الماضي]

—•••••—

ومع ذلك فإن في تاريخ الصين ما يترع إلى الأمور الشخصية مثل الذي ذكرت ، فثلا في عهد أسرة « تنغ » قد استولت على أفرادها النواحي الحزبية ، واستلمت النزاع بين « نيو » و « لي » ، حيث عقدوا عهدا سريا على أن يقتصروا الأمبراطور ، وهذا أمر داخلي ، وأما الأمر الخارجي فإنهم اتصلوا بالأجانب وشايعوا ، ثم اشترك أنصارهم « نان شاو » و « هون تشن » في النزاع واحدا بعد الآخر ، حتى غرقت الدولة كلها في بحر المصائب والبلايا . وهذا مثل آخر ، أحدث في عهد أسرة « سونغ » من النزاع الحزبي بين « وان غان شي » و « يان يو » حيث نفثوا سم خصامهم حتى انتشر وأهلك دولة « سونغ » . وأشد ما يحزن ما عم في آخر عهد أسرة « مين » من بلاه حزب « دان لين » الذي أثر على مدة حكم الملك أسوأ التأثير . أما ما حدث بعد إعلان الجمهورية الصينية من النزاع الحزبي والخصام ، فغير لنا إلا نذكره مؤقنا ، لنتركه إلى التاريخ

إن مجتمع الصين كله ككتاب تاريخي شامل لما يترتب على الاهتمام بالأمور الشخصية . فكلم من الناس من قديم وحديث نجحوا نجاحا باهرا في الاعتماد على التهمة الشخصية ! وكلم من الأشخاص ، قد تحاربوا وتنافسوا بسبب الأمور الشخصية أيضا ، ذلك لأن الصينيين لا يهتمهم إلا ما يعامل به بعضهم بعضا ويحملون ما ينبتى عليهم أن يتعاملوا به كأفراد للطبيعة .

فيجب علينا بعد هذا نحن الصينيين ، في هذا العصر أن نقصد إلى هدف في الحياة ، ولا بد أن نهتم ما يحيط بالناس من حدود ، ونبتعد عن نطاق المتاع الشخصي ، لننتقل على الطبيعة مع بعض ، ثم نجد نظم المجتمع ونصلح شئون الدولة .

يجب علينا أن نجل المستر « لنكولن » زعيم أمريكا المشهور ، ونحترم رايه العظيم كل الإحترام إذ أنه يريد ألا يسترق الناس

أحد من الناس ، ولا يرعى أن يهدد بني البشر أمثالهم ، ولم يتردد في إشمال الحرب لإعتاق الرقيق . وكان يبذل جهده لتحرير الرقيق من جهة ، ويحث الناس على الهجرة من جهة أخرى ، حيث دعاهم بأن يتقدموا نحو غرب أمريكا متحدين ، ليفتحوا كنوز طبيعتها البكر ، وهكذا مهد الطريق إلى رقى أمريكا بيديه .

إن أسلوب « لنكولن » العظيم ، هو هدم الحدود بين البشر اقهر الطبيعة ، أو بتعبير آخر أن يتعدى الناس الحدود الضيقة الشخصية في معاملة بعضهم لبعض ، ثم حثهم على الكفاح والجهاد لاقتطاف الثمرات الطبيعية للحياة ، وهو أسلوب أشبه ما يمكن بأسلوب المخترعين والمكتشفين ، بل إنهم من منيع واحد .

وبمناسبة ذكر الكفاح والحياة المثالية الطبيعية ، أذكر ما أملأه على ركوب البحر من أفكار ، ذلك أنني كنت غارقا في أعمال إدارة جريدتي ، في ربيع سنة ١٥ للجمهورية الصينية ، إذ كنت في منصب رئيس التحرير والمدير العام ، وكان هدف الإدارة من نواحي العمل والنظم والمقالات كخيطة مستقيم ، إذ نهيت أبناء وطني للثورة على الضباط الشريرين الذين يضرون الوطن ويزعجون الشعوب . ثم تركت إدارة جريدتي مضطرا ، وفرت راكبا من « تين جي » إلى شنغ هاي ، حين وصل « تشوي يو » و « لي جنغ لين » إلى « تين جين » مع قواتهما . ولما خرجت الباخرة من ميناء « نان قو » ، لم أر

في الدنيا إلا الماء العميق والسما المرتفعة والتقاءهما عند الأفق ، وسارت الباخرة في البحر الواسع رويدا رويدا كمنفرة القرع ، وحينئذ شعرت فجأة بسمة الدنيا وصغر البشر ، وفكرت في الذين لا يزالون يتنافسون ويتنازعون ويتحاربون في « تين جين » ، مثلهم كمثل عرمة الديدان ، لو أن تلك الجملة من الناس أقيت في البحر ، لم يبد شي إلا الزبد والرغوة فحسب .

وعندئذ اعتقدت كل الاعتقاد أن مستقبل الإنسان لن يكون فسيحا مقسما ، إلا بعد أن يعتمد الناس عن نطاق المتاع الشخصي الضيق ، ويبذلوا أقصى جهودهم في سلوك طريق الطبيعة الدليمة الأبدية ما أشد ما يملق مستقبل الإنسان بآثار الحرب الحاضرة !

فإن من حسن الحظ أن قام الأمر بكيون يساعدون انجلترا بقانون الاعارة والتأجير ، ثم يساعدون روسيا والصين أيضا حتى حولوا موقف دول الحلفاء من الهزيمة إلى النصر ، وكان سببا في هزيمة المحور ، وأصبح العالم كله يحلم بمستقبل منير .

يوضح مذهب الفريقين المختلفين وفلسفتهما ، ويمثل نوعين من السياسة متميزين .

أما كيف يرفع مستوى المعيشة فذلك بالبحث في خامات الطبيعة وقوانينها والأخذ عنها بالاختراع والعمل على زيادة الانتاج . وأما كيف يكون الزهد والاقتصاد فذلك بالتقصد في الطعام والكساء ، وجمع النقود مليا بعد مليم ، وتكديس الثروة قيراطا بعد قيراط ، حتى أصبح الشحاذون هم أصحاب الثراء ، وفوق ذلك فإن أكبر ضرر ينتج عدم الانتاج والابتكار ، والزهد والشح هو فتح باب الخداع والرشوة ، ولهذا كان ضعف الصين وقهرها . لقد كان صاحب كتاب « الدول الثلاثة » أعظم الناس عقلا وأكثرم تجربيا ؛ إذ قال في أول كتابه القيم : « لا بد أن تتطور حالة الدنيا بحيث يتحد الناس بعد مدة الفراق من جهة ، ويفترقون بعد مدة الاتحاد من جهة أخرى » .

ولو أننا رجعنا إلى الخلف خطوة ، نبحث في تاريخ الصين عن أسباب السلام والصلح من جهة ، وعن أسباب التمرد والعصيان من جهة أخرى ، لوجدنا أن السبب الوحيد هو وقوف سياستنا في حدود نطاق المتاع الشخصي الضيق ، وحدود الاقتصاد في إنتاج الزراعة البسيطة ، وعدم استغلال الطبيعة لتحسين حال المجتمع وخصوصا العجز عن رفع مستوى المعيشة .

لقد كانت مصر من بناء الحضارة بين أبناء آدم ، بل كانت الأولى في العالم من قديم الحضارة وبعد التمدن ؛ إلا أن أهلها ما زالوا يعيشون على ماء النيل فقط ، فإذا لم يرتفع فيضان النيل إلى درجة موفورة ، نقص حصاد الزرع ، ومات الناس جوعا . وإذا لم تكف المؤونة بأن كان إنتاج الزراعة ومحصولها محدودا مع زيادة السكان ، حدثت المصائب دائما ، فلذلك ظلت مصر ضعيفة .

وإلى هنا كشفت المشكلة أمام أعيننا علانية ، فلا بد أن نزع ما بين البشر من حدود ، ونبعد عن نطاق المتاع الشخصي ، ثم نتجه إلى السماء بقصدنا المين ، ونستغل الطبيعة بقوتنا المتحدة وعند ذلك تحسن حالة المجتمع وتصلح شئون الوطن ، ونرى أنفسنا متقدمين نحو الأمام مشغولين بالاختراع . تلك هي وجهة نظري الجديدة في الحياة ، وهي نفسها نظرية الشمس والحياة .

نور ناھين

وربما رأى بعض الحاذقين أن الأمريكيين من أشد الناس حقاً ، لأنهم يعملون ما أنتجوا من السلاح والغذاء إلى حلفائهم بدون أى شرط ، وهم قد دفعوا الضرائب الثقيلة ، وسكبوا عرقاً ودماء . ولكن الأمريكيين أنفسهم ما زالوا يخترعون هكذا ، ويعطون هكذا ، بل إنهم سيستمرون في الاختراع والاعطاء ، وبذلك أصبحت أمريكا زعيمة دول الحلفاء ، وصار الرئيس روزفلت أول السياسيين في العالم ، وصار أهل أمريكا أكثر الناس سعادة . وإن مثل أمريكا الآن مثل الشمس تبعث الحرارة والنور باستمرار ، فحصلت عظمتها وجلالها من بذل الحرارة والنور ، وهي نفسها لا تمنى بتعظيمها قط .

وإذا لاحظنا مسألة الأمريكيين الاقتصادية بعد الحرب الحاضرة ، وقد نفذت اليوم فعلا ما عرضته على آذان المستمعين الآن من نظرية الشمس والحياة ، ظهرت لأعيننا مشكلة النزاع الملقى بين فريقين : أولهما « Expansionist » الذين يقترحون أن يبقى الإنتاج الجليل كما كان بعد الحرب الحاضرة ، كي تتجدد مسألة البطالة ، وهم لا يلاحظون حينئذ دفع الضرائب الثقيلة وتحمل الديون . وثانيهما « Conservitist » الذين يقترحون اختصار ميزانية الوطن بعد الحرب الحاضرة والنقص من مدى الإنتاج تخبأ للتضخم المالي .

وإني لموافق على رأى « Expansionist » من التوسع في الإنتاج ، فأرجو من أمريكا أن لا تنفذ قرار « Conservitist » الذى يشير بانقاص الانتاج بعد الحرب الحاضرة ، بل يجب عليها أن تستمر في الاختراع والإنتاج ، لتتمتع الجماهير بالنتائج ويرتفع المستوى المعيشى ، ثم نبيع ما يبقى من الإنتاج بعد الاستعمال ، ولو بقى شيء من الإنتاج بعد البيع ، فاعليها إلا أن تقدمه للناس هدية . إذ أن نمة بعد الحرب كثيرا من البلدان تنتظر نهضة ، وكثير من الأمم تحتاج إلى المساعدة والإنقاذ . ولما كانت لأمريكا هذه القوة على الاختراع وتلك القدرة على الإنتاج ، فكيف يجوز أن لا ترفع قواتها إلى أقصى الحد ، كي توفر النعمة لجمهورها خاصة وللعالم كله عامة ؟

إن السياسيين الأوروبيين إذا تحدثوا عن سياستهم الداخلية ، طالبوا دائما برفع المستوى المعيشى ، أما السياسيون الصينيون فقد تمردوا أن يثروا في الناس حب الاقتصاد والزهد ، وذلك